تقرير

خليل حرب
khalilharb66@gmail.com

رهانات خابت مجدّدًا بقيام دولة مستقلة
هل يجد أكراد "PKK" صديقًا لهم خارج الجبال؟

لا الحزب هو الحزب، ولا زعيمه عبد الله اوجلان هو نفسه، ولا تركيا هي تركيا ذاتها، ولا المشهد الاقليمي والدولي هو ذاته مثلما كان قبل اكثر من 4 عقود. ولهذا، فان المراسم الرمزية لاحراق اسلحة لمقاتلي حزب العمال الكردستاني، تحمل الكثير من المعاني، والاهم التحديات الخطيرة

لم تكن مراسم حرق السلاح لنحو 30 مقاتلا ومقاتلة من اعضاء حزب العمال الكردستاني (PKK)، بعدما نزلوا بشكل رمزي من الجبال والكهوف، بالقرب من مدينة السليمانية في اقليم كردستان في شمال العراق، في 11 تموز 2025، سوى تتويجا لمرحلة طويلة امتدت نحو 50 سنة، من محطات الصعود والهبوط، من الامال والخيبات، ومن التهدئة والاشتعال. مراسم التسليم هي الاولى، وستليها محطات عدة وطويلة اخرى. لكن من كان يراقب المراسم الرمزية؟ اللائحة طويلة، لكن ابرزها بالتاكيد، اوجلان نفسه من سجنه التركي؛ الرئيس التركي رجب طيب اردوغان من قصره؛ رئيس المخابرات التركية ابراهيم كالين؛ إضافة الى القادة التاريخيين للحزب من معاقلهم في الجبال والكهوف؛ السلطات السورية الجديدة في دمشق؛ وسلطات الادارة الذاتية التي يقودها الاكراد في الشرق السوري؛ حكومة محمد شياع السوداني في بغداد، قادة ايران والحرس الثوري في طهران؛ قادة اقليم كردستان العراقي من اربيل والسليمانية؛ قادة احزاب والاعلام في تركيا؛ الاتحاد الاوروبي؛ ادارة دونالد ترامب ومبعوثيها الى المنطقة؛ وبالتاكيد اسرائيل.

لقد شغل الحزب العمال الكردستاني المنطقة والعالم بنشاطه وهجماته واهدافه ورهاناته. لكن العالم الذي شاهده اوجلان في بداية سبعينات القرن الماضي، ليؤسس من بعدها الحزب في العام 1978، ثم يطلق "الكفاح المسلح" العام 1984، تبدل جذريا، وتغيرت توازنات القوى ومصالحها، وخابت مجددا رهانات الاكراد وتطلعاتهم بقيام دولة مستقلة تجمع كل الاكراد في تركيا والعراق وسوريا وايران.

شعبيا، كان يقال انه "لا اصدقاء للاكراد الا الجبال"، وها هم يبدأون مرحلة نزول من الجبال، مراهنين على سلام جديد، لكن مسيرتهم قد تكون طويلة، كطول بقائهم القاسي في الجبال والكهوف.

هذا جانب مما يقوله مشهد تسليم السلاح واحراقه بالقرب من السليمانية. لكن تماسك المشهد واستمراره، سيظلان مرهونين بالايام الاسابيع المقبلة، وما اذا كان هذا الدفع نحو التسوية التاريخية سيظل ايجابيا ام لا، بغض النظر عن اعلان اردوغان ان ما جرى يعني ان "تركيا انتصرت، و86 مليون تركي انتصروا".

فتجارب العقود الماضية اظهرت ان الآمال العالية على السلام لا تأتي للاكراد، او لغيرهم، بالسلام دائما. ومع ذلك، فان التحول كبير، مهما كانت رمزية مشهد نزول المقاتلين الـ 30 وتسليم اسلحتهم، وهو ما اختصره اردوغان قائلا ان "آفة الارهاب التي حاربناها 41 عاما، دخلت مرحلة الزوال".

لكن كل ذلك ربما لم يكن في الامكان تصوره قبل شهور قليلة. تلاقت وتداخلت مجموعة من الاحداث والتطورات التي فتحت ثغرة في جدار الصراع، واتاحت امكانية التقدم بتسوية، بما في ذلك التبدل في موقف زعيم الحركة القومية التركي

دولت بهجلي الذي دعا في تشرين الاول 2024، الى اعادة النظر في شروط الحكم بالسجن مدى الحياة على اوجلان في حال وافق على اعلان حل الحزب، المحظور من جانب انقرة.

سرعان ما تلقف النواب الاكراد وغيرهم، في البرلمان التركي دعوة بهجلي التي وصفت بأنها "تاريخية". وفتحت قناة تواصل مع

> **اول تسليم للسلاح في السليمانية**

تسلسل

في 22 تشرين الاول 2024، وجه زعيم حزب الحركة القومية التركي دولت بهجلي نداء الى عبد الله اوجلان، طالبا منه القاء خطاب في البرلمان التركي يدعو من خلاله حزب العمال الكردستاني الى القاء السلاح وحل الحزب. ثم سمحت الحكومة التركية لوفد من حزب المساواة وديموقراطية الشعوب الممثل للاكراد بزيارة اوجلان لفتح قنوات حوار سياسي. في 27 شباط 2025 دعا اوجلان في بيان الى بدء مرحلة جديدة من السلام مع الدولة التركية، واكد على ضرورة انهاء النزاع المسلح، مطالبا مقاتلي حزب العمال الكردستاني بالقاء السلاح وحل الحزب لان اقامة كيان كردستان الانفصالي لم يعد ممكنا. في 1 آذار، اعلن الحزب وقف إطلاق النار. في 12 ايار الماضي، اعلن الحزب خلال اجتماع سري له في شمال العراق، حل نفسه والقاء السلاح، تلبية لدعوة اوجلان.

اوجلان من سجنه تمهيدا لاعلان القاء السلاح ودعوته الحزب الى حل نفسه.

من اللافت للنظر، انه في اليوم التالي لمراسم تسليم السلاح، بدات السلطات التركية تبدل لهجتها نسبيا ازاء الاكراد، وعلى سبيل المثال، اقر اردوغان بالاخفاقات التاريخية للدولة في معالجة القضية الكردية، واصفا الانتهاكات السابقة بحق الاكراد كالخطف والعنف خارج نطاق القضاء، وحرق القرى، والتهجير القسري للعائلات، بأنها امثلة على سياسات ادت الى تاجيج الصراع بدلا من اخماده، قائلا "لقد دفعنا جميعا ثمن هذه الاخطاء"، مضيفا انه تم تشكيل لجنة برلمانية للاشراف على الخطوات القانونية لعملية السلام، في اشارة بذلك الى خطوات المصالحة والدمج المجتمعي والعفو والمحاكمات ومصير المفقودين والمعتقلين.

هناك تقديرات تركية بأن كلفة الصراع، كلفت تركيا نحو 50 الف قتيل، واكثر من 2 تريليون دولار. ومع ذلك، فان العناصر التي حفزت التسوية، لم تكن داخلية فقط. فقد وقع العراق اتفاقية تعاون امني مع تركيا في اب 2024، تسمح بمواجهة حزب العمال الكردستاني على الاراضي العراقية من خلال تصنيفه كحزب محظور.

في الوقت نفسه، كانت انقرة تكثف من ضرباتها الجوية وعبر اغتيالات الطائرات المسيرة لقادة ومسؤولين في الحزب، ومن ميليشيات مرتبطة بهم سواء في شمال العراق او شمال شرقي سوريا. وقال مراقبون سابقا ان قدرات الحزب شهدت تراجعا ايضا بسبب انتشار القواعد العسكرية التركية في الشمال العراقي والتي عرقلت امكان قدرة مقاتلي الحزب على الاقتراب من الاراضي التركية مثلما كانوا يفعلون في السابق. وللدلالة على حجم تمركز الاحتلال التركي في الشمال العراقي، تشير التقديرات الى 11 قاعدة عسكرية تركية في اقليم كردستان بحسب تأكيدات أنقرة، بينما يقول حزب العمال الكردستاني ان هناك 27 قاعدة عسكرية ومركز تدريب للجنود في المنطقة، الا ان هناك تقديرات عراقية وكردية اخرى تتحدث عن وجود ما يصل الى 80 قاعدة عسكرية تركية، تنتشر على طول الحدود العراقية التركية الممتدة الى مسافة 200 كلم، وفي عمق بين 10 كيلومترات و40 كيلومترا.

مع ذلك، لا يزال من غير الواضح ما ◄

على ضمانات تتعلق بسلامة وامن قادتهم اولا، وثانيا حقوق الاكراد في تركيا، وهو ما يفترض ان تكشف عنه الايام والاسابيع المقبلة. وبينما يتمتع الاكراد في شمال العراق بوضع خاص ومستقر عموما، ويحظون بما يشبه الاعتراف الدولي بشرعية اقليمهم، فان الاكراد في شمال شرق سوريا، حيث يتداخل ايضا حضور حزب العمال الكردستاني هناك، بداوا يشعرون بالتضييق الخارجي عليهم، وان علاقتهم المميزة مع الولايات المتحدة منذ 15 سنة، وتسليحها لهم ودعمهم ماليا، لم تعد تحصنهم وتحميهم من نفوذ تركيا وسطوة ميليشياتها السورية التي تمولها وتسلحها.

كان من اللافت ان الاميركيين - والفرنسيين وهم ايضا من اكبر داعمي اكراد سوريا- ساهموا في فتح قنوات تواصل وحوار والتوصل الى تفاهمات مع سلطة احمد الشرع ما ان استولى على دمشق. صحيح ان التفاهمات لم تطبق حتى الان، لكن جوهرها يعكس تحولا في موقف واشنطن من اكراد سوريا، وربما هو ما عبر عنه المبعوث الاميركي الخاص الى سوريا ولبنان توم باراك عندما قال متحدثا عن مكونات الاقليات في سوريا، ان "العلويين يريدون ارضا للعلويين، والاكراد يسعون الى كردستان، لكن ما تقوله سوريا، وما تقوله دمشق، هو ان ذلك لن يحدث، فجميع الطرق تؤدي الى دمشق، دولة واحدة، امة واحدة، جيش واحد، وهذا ما هو قيد التشكيل حاليا". سبق هذه التصريحات مواقف اخرى لباراك (وهو ايضا السفير الاميركي لدى انقرة)، قال فيها "لا يمكن أن نقبل بدولة داخل الدولة.هذا لا يعني أننا في طريقنا لإنشاء كردستان حرة في سوريا... ولا دولة علوية او يهودية. هناك سوريا واحدة، تعاد هيكلتها. سيكون لها دستورها وبرلمانها".

معنى ذلك، ان ادارة دونالد ترامب بدأت، وهو تحول سياسي كبير بالنسبة الى الادارات الاميركية، وضع رهانها بالكامل على الحكام الجدد في دمشق الذين استجابوا لمطالب وشروط اميركية للاعتراف بهم، بما في ذلك القبول مبدئيا بالانضمام الى الاتفاقات الابراهيمية التي يريدها ترامب. وفي المقابل، يبدو ان واشنطن تدفع الاكراد الى الالتحاق بالدولة السورية الجديدة، ودمجهم فيها بما في ذلك قواتهم العسكرية التي حاربت الى جانب الاميركيين ضد تنظيم داعش.

انقلاب المشهد بهذا الشكل في دمشق، مع التحول في موقف بغداد من حزب العمال الكردستاني وتقاربها مع انقرة، والتبدل الجذري في موقف واشنطن والذي مهد اليه ترامب في كانون الاول الماضي، بعد سقوط نظام بشار الاسد، حيث قال الرئيس الاميركي ان اردوغان رجل ذكر وقوي جدا و"مفتاح سوريا سيكون في يده"، هي كلها من العوامل الاساسية التي قراها حزب العمال الكردستاني، وادرك مراميها، اضافة الى الاستباحة الاسرائيلية للمنطقة والتي رعتها واشنطن، ما يعني ان المنطقة باجملها دخلت في اعادة رسم مصالح ونفوذ.

لهذا، بدا حزب العمال الكردستاني كأنه ينحني امام العاصفة، لكن التحديات ليست قليلة وحافلة بالخطورة في الوقت نفسه. مصير اوجلان نفسه، وقد شارف على الثمانين من العمر، ويعاني من امراض عدة في سجنه المعزول بين قضبانه منذ نحو 25 سنة.

حتى الان فشلت محاولات دمج قوات "قسد" السورية في النظام السوري الجديد. وكما هو معلوم، فان "قسد" متهمة تركيا بالارتباط بحزب العمال الكردستاني. وقد قال اردوغان بعد مراسم تسليم السلاح، "ليست قضية مواطنينا الاكراد فحسب، بل مسألة اشقائنا الاكراد في العراق وسوريا هي قضيتنا ايضا". ولا يخفي المسؤولون الاتراك اهتمامهم الشديد بما يجري على حول الملف الكردي في سوريا، وما اذا كانت "قوات حماية الشعب" الكردية، ستحذو حذو حزب العمال الكردستاني، وتسلم اسلحتها للدولة السورية، وتعلن حل نفسها ام لا.

> **50 عاما من الصعود والهبوط**

عن مصير الالاف من المقاتلين والقادة المتمركزين ما بين جبال قنديل العراقية والمناطق التي يقطنها الاكراد في سوريا، فان المتوقع الا تسمح انقرة بعودة من تورط في عمليات قتل داخل الاراضي التركية نفسها، الى تركيا. كذلك من المتوقع ان العديد من قادة الحزب اما سيبقون في العراق كمنفيين، او في دول اخرى. كما لم يتضح مصير الاف المعتقلين من الناشطين الاكراد في السجون التركية. ولم يعلن رسميا ما اذا كان اوجلان نفسه سيمنح العفو، وهل سيسمح له باستئناف نشاطه السياسي، وكيف سيكون ذلك؟ ام سيخرج من السجن ويوضع قيد الاقامة الجبرية.

ليس سرا ايضا ان تركيا التي تحاول توسيع نفوذها في انحاء المنطقة، على حساب ايران التي تعرضت لانتكاسة كبيرة بسقوط دمشق في قبضة حلفاء انقرة، تدرك ان لطهران علاقات متعددة الجوانب مع حزب العمال الكردستاني، وهي، اي انقرة، تراهن على ان تطورات العامين الماضيين، اضعفت الحضور الايراني في الاقليم، وتسمح لتركيا بملء الفراغ المفترض في سوريا والعراق بما لذلك من تأثيرات على الساحة الكردية، خصوصا في حال اقدمت واشنطن على تقليص او انهاء وجودها العسكرية في شمال شرق سوريا، او خففت من حضورها عسكريا على الساحة العراقية.

من المفترض ان يترك حل حزب العمال الكردستاني اثارا ايجابية على علاقات انقرة وبغداد حيث كانت الحكومة العراقية تتعرض لانتقادات داخلية كثيرة، بسبب الاعتداءات التركية على الاراضي العراقية. ويفترض مراقبة ما اذا كانت هذه التطورات، ستعجل بانهاء الاحتلال التركي لمناطق في الشمال العراقي عبر عشرات القواعد والمراكز العسكرية. ورسميا، كانت بغداد تعتبر ان تمركز حزب العمال الكرتساني هو الذي وفر الذريعة والحجة للاتراك لاحتلالهم اراض عراقية.

◄ اذا كانت كل اجنحة حزب العمال الكردستاني، ستظل ملتزمة قرارات الحزب تسليم السلاح وحل نفسه. اضافة الى ذلك، من غير الواضح حتى الان، ما هو مصير ما يسمى الاعضاء في ما يسمى "قيادة قنديل" في شمال العراق. وتقول مصادر كردية ان مسلحي الحزب لا يمكن ان يسلموا بالتحولات الجديدة ما لم يحصلوا

من تاريخ الحزب

تم الاعلان عن ولادة حزب العمال الكردستاني يوم تشرين الثاني 1978، مع اختتام المؤتمر التاسيسي الذي انعقد في قرية فيس في منطقة ديار بكر، جنوب تركيا. والكفاح المسلح بدا العام 1984. كان الحزب يدعو من خلال افكاره الثورية والقومية الكردية والاشتراكية، الى اقامة "دولة كردستان الكبرى المستقلة" وانهاء "التقسيم الجائر" لكردستان بين 4 دول، من خلال الكفاح المسلح. بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، عدل الحزب افكاره وتبني فكرة "الكونفيدرالية" من خلال الحكم الذاتي المحلي للشعوب الكردية. في العام 1995، ازيل شعار المطرقة والمنجل من علم الحزب واستبدل بالشعلة. تلقى الحزب ضربة موجعة بعد اعتقال المخابرات التركية زعيمه عبد الله اوجلان في 15 شباط 1999 في العاصمة الكينية نيروبي، وذلك بعدما غادر سوريا تطبيقا لالتزامات "اتفاق أضنة" بين دمشق وانقرة. ووضع اوجلان في الحبس الانفرادي، وفي 29 حزيران 1999، صدر عليه حكم بالاعدام بتهم الخيانة ومحاولة الانفصال والقتل، وتم تخفيف الحكم الى السجن مدى الحياة بعد أن الغت تركيا تنفيذ حكم الاعدام العام 2002.